دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | جرائم ضد الثقافة |
| المصدر: | مجلة رسالة اليونسكو - مركز مطبوعات اليونسكو - مصر |
| المؤلف الرئيسي: | كيزر، كولين |
| المجلد/العدد: | س53 |
| محكمة: | لا |
| التاريخ الميلادي: | 2000 |
| الشهر: | سبتمبر |
| الصفحات: | 41 - 42 |
| رقم MD: | 747391 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | HumanIndex |
| مواضيع: | التراث الثقافي، الإدارة الثقافية، التنمية الثقافية |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/747391 |

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# جرائم ضد الثقافة

كولين كيزر Colin Kaiser

**فى يوغوسلافيا السابقة محا دمار التراث الثقافى هوية مشتركة فى المدن، وحقق حلما مهجورا فى الريف**

فى عام ١٩٩١ فى الأيام الأولى لنهاية الحرب الباردة، اهتز الأوربيون بصور تليفزيونية تمثل انهيار المتفجرات الساقطة على مدينة ڤوكوڤار Vukovar الصغيرة النائمة على نهر الدانوب، وخيوط من الدخان تتخذ طريقها المتعرج أعلى مدينة ديبروڤنيك Dubrovnik «جوهرة الأدرياتيك»، وموقع تراث عالمى. ومن ١٩٩١ تعرضت بلاد يوغوسلافيا السابقة للحرب. وفى حين أشار المعلقون المعتدلون إلى حملة «تطهير عرقية»، تحدث أولئك الذين أصابهم العنف عن «إبادة جماعية». ولهذا السبب، ومن أجل جرائم ضد البشرية يحاكم جنرالات وسياسيون فى «المحكمة الجنائية الدولية» الخاصة بيوغوسلافيا السابقة.

وقد ظهرت اصطلاحات إبان هذه الحروب من قبيل "urbicide" (إبادة المدن) لوصف قذف المدن بالقنابل، مثل مدينة موستار Mostar، وسراييڤو فى البوسنة و«هوزيجوڤينا»، و«التطهير الثقافى» أو «الإبادة الثقافية» إشارة إلى مصير المساجد، والكنائس، والمتاحف، والمحفوظات ، والمكتبات، والمدارس، وغيرها. هذه المصطلحات كانت حتما جزءا من دعاية حربية، ولكنها غالبا ماكانت تعكس المواقع الطبيعية الجديدة لكرواتيا، والبوسنة والهرسك، وأخيرا كوسوڤو.

التدمير العمدى فى أوقات الحرب للتراث الثقافى ليس بدعة تاريخية. وفى بعض الأحيان كان التدمير وسيلة للسلب والنهب، وفى أحيان أخرى كان حقا معترفا به على نطاق واسع لإبادة العدو. وفى غضون الحرب العالمية الأولى تحولت الكنائس ومواقع المدن القديمة إلى قطع من الدبش والحجارة لضرورة عسكرية. وفى غضون الحرب العالمية الثانية زالت مراكز حضرية ألمانية كجزء من «ضرب استراتيچى» بالقنابل، تقوم به قوات الكومنولث الجوية.

ولكن هناك أسبابا أخرى، فالإبادة الجماعية الجسدية ليهود أوربا من قبل النازى كان يصاحبه إبادة ثقافية جماعية - تدمير معابد اليهود، والجبانات، وغيرها من معالم البلاد والكنوز.

وفى حالة يوغوسلافيا السابقة، كانت مواقع التراث المدمرة لأسباب عسكرية فقط قليلة، وفى

كولين كيرز: خبير فى التراث الثقافى، مدير سابق لمكتب اليونسكو فى سراييڤو

كنيسة دمرت في كرواتيا أثناء القتال حول ليبيك Lipik

فترات متباعدة. ويذكرنا التاريخ بأن المبانى المقدسة كانت تدمر مرة بعد أخرى فى بلاد البلقان. والاعتقاد القديم بأن الجيوش العثمانية فى القرن الخامس عشر كانت كريمة، ورحيمة بالتراث المسيحى، ربما يكون خرافة. وفيما بعد، فى القرن التاسع عشر حولت جيوش هابسبرج الغازية، وحكام كرواتيا الكاثوليكيون، حولت عددا من المساجد إلى كنائس، وهدمت الباقى منها. وفى الماضى القريب، أثناء الحرب العالمية الثانية قامت قوات أوستاشا Ustasha الفاشية بتدمير كبير لكنائس الصرب الأرثوذكسية فى كرواتيا، وفى أجزاء من البوسنة والهرسك، والخرائب فى شرق سلاڤونيا وكراچينا، ومناطق صربية بارزة فى كرواتيا، تذكرنا بهذه الفترة بصورة ملموسة.

غير أن أكثر الأعمال حداثة لها طبيعة مختلفة. ولسنا نشير إلى قوات أجنبية تغزو إقليما وتكتسح كل شىء فى طريقها. فنحن نقصد مجتمعات قديمة كانت إلى حد ما مندمجة. ولكنها تفرقت. فأهالى الصرب فى «كراچينا» الكرواتية لم يأتوا حديثا إلى المنطقة فى عام ١٩٩١. فالكرواتيون، والمسلمون، والصرب عاشوا معا فى البوسنة والهرسك منذ القرن السادس عشر. وحتى زمن قريب، فى القرن العشرين، كانت الزيجات المختلطة فى المدن والقرى تلعب دورا هاما فى نسيج الروابط الاجتماعية. وفى الريف حيث يستقر الأهالى تبعا للانتماءات العرقية، كان الوضع مختلفا. ومن ثم، ففى أثناء الحرب، حين طرد المسلمون والكروات، والصرب، وألبانيو كوسوڤو من قراهم، بينما أحرقت مساجدهم أو لغمت، فإن «الآخر»، أى «الأجنبى» .. هو الذى استبعد من المنطقة. وهكذا فإن حلم أنصار القومية القوميين (وأحيانا الحلم السرى غير المعترف به لدى القرويين) قد تحقق، إذ يكون الفرد أخيرا فى سلام، وحده مع قومه. لقد تحقق العالم الريفى الخرافى.

فى مدن وقرى البوسنة والهرسك. كان للدمار معنى آخر. كان من المعتاد أن يقال فى سراييڤو وموستار إن معابد اليهود، وكنائس المسيحيين، والمساجد تقع على بعد مائة متر عن بعضها البعض. ربما لايكون هذا صحيحا، ولكنه صحيح فى عقول الناس. لقد تمتعت بمنشآت دينية، وكانت تضم أجمل أنواع التراث المقدس العثمانى. وقد نشأ شعور بالتكامل من خلال الارتباط بالأماكن والمواقع المقدسة. وتعايش التقاليد الدينية زود الناس بفطرة سليمة تتمثل فى ملكيتهم للتراث المقدس. كذلك كان الصرب، والمسلمون، والكروات يفتخرون على قدم المساواة بمبانيهم الدنيوية، مثل مكتبة سراييڤو الجامعية الوطنية.

### تراث «عرقى»

كل هذا غيرته الحرب تغييرا عميقا. ومع أننا ندرك أن التدمير شىء همجى، فإنه يبدو فى عيون مرتكبيه عملا خلاقا. فى ريف كرواتيا، والبوسنة والهرسك، كانت الحرب بمثابة عمل خلاق - أو تحرير - لمجتمع أسطورى ريفى - مع رموز للآخر غير المرغوب فيه - بمآذنه أو أبراج كنائسه - الممحوة من الأفق. ولكن فى مدن البوسنة والهرسك، تهدمت هوية مدنية شائعة، ومعها «الآخر» فى داخل الناس. وصار التراث القدسى والدنيوى شيئا عرقيا: قبل الحرب لم يكن هناك فى موستار من يقول إن الجسر القديم «أثر إسلامى» ؛ وهدمته دبابات الكروات فحولته إلى أثر إسلامى. وفى البوسنة والهرسك، افتقار مدن مابعد الحرب شىء مروع، ليس فقط لأنها أخليت على نطاق واسع من مجتمع عرقى آخر، أو من مبان مقدسة عظيمة. أما المبانى الباقية، حتى السليمة منها، فإنها مجرد أشباح تنتمى إلى عصر آخر: إن «الآخر» قد زال على كل المستويات، داخل الناس، وفى الخارج، على الشوارع.

فى هذا السياق، يمكن لترميم أو إعادة بناء التراث الثقافى أن يتخذ أبعادا سياسية أو انقسامية صريحة. ولم يعد الأمر مسألة إعادة بناء ماكان مشتركا، ولكن فقط «ماكان لنا». والمشكلات التقنية الخاصة بإعادة البناء أقل أهمية من «التغيير العرقى» للتراث، ومن الصعب أن نتخيل كيف يتسنى لمجتمعات البلقان أن تحل هذه المشكلة. والأمل الوحيد لترميم ماكان فى وقت مضى معتبرا موقعا طبيعيا، يتبدى فى التعهد بهذا العمل من قبل الجماعة العرقية أو الوطنية التى ارتكبت الجرائم. ■

## جسر موستار: انبعاث شعار

لم يستغرق الأمر أكثر من ثلاثين دقيقة ليتهدم «ستارى موست» Stari Most (الجسر القديم) الرمز الشعارى لماضى موستار المتعدد الثقافات، لضربه بالقنابل من دبابة للجيش الكرواتى فى ٩ من نوفمبر عام ١٩٩٣. هذا الجسر الذى تم بناؤه فى عام ١٥٦٦ بعد تسع سنوات، بتصميم المهندس المعمارى العثمانى «ميمار هيرودين» Mimar Hayruddin، ارتفع فوق المياه الزمردية لنهر نيرتيڤا Neretva، ليصل ضفته الشرقية بالضفة الغربية.

هذا الجسر، وطوله ٢٩ مترا، المبنى بقنطرة حجرية، أعطى البلدة اسمه، وحفز ازدهارها من مستقر صغير فى العصور الوسطى إلى مركز تجارى مزدهر، يجذب التجار والسياح من نواحى المنطقة. هنا كان الأزواج يمارسون قصص الحب، والشبان يقفزون إلى النهر فى مباراة سنوية مشهورة. وعند نشوب الحرب غطى السكان الجسر بأطر سيارات حماية له من الدمار. وأصيب الجسر أولا فى عام ١٩٩٢ بقنابل الجيش اليوغوسلافى.

وما أن تدمر الجسر حتى شرع المهندسون المعماريون المحليون، وخبراء التراث الذين كانوا قد فروا من المدينة، شرعوا فى وضع شبكة لإعادة بناء الجسر فى عام ١٩٩٧، وتولى غطاسون مجريون عسكريون من قوات حفظ السلام التابعة لحلف شمال الأطلنطى فى البوسنة إنقاذ الكتل الحجرية من مياه النهر بمساعدة من شركة هيديپيتو المجرية الخاصة ببناء الجسور. وفى عام ١٩٩٨، أطلق اليونسكو، والبنك الدولى، ومدينة موستار مشروعا لإعادة بناء الجسر. ونظرا للضرر الشديد، فإن قدرا من الحجارة المستخرجة أقل مما كان فى الحسبان سوف يعاد استعمالها، وسوف تستعمل حجارة مستخلصة من محجر قريب، يستعملها بناءو ستارى موست Stari Most.

ويستعد أهالى موستار لرؤية شعار مدينتهم يبعث من جديد. وعلى وجه الدقة، سيبدأ هؤلاء فى ١٥ من سبتمبر ٢٠٠٤ فى الساعة الخامسة مساء وهو موعد تم اختياره فى وسط الحرب، اختاره مهندسون معماريون موستاريون كرسوا عملهم من الآن لإعادة بناء بلدتهم. ■